الاتجاه الهدائي في تفسير "سورة الملك "وأثره في تربية المجتمع

The Guidance Approach in Interpreting Surah Al-Mulk and its effect on community education

الأستاذ الدكتور عبد الكريم حمدي الدهشان *

الدكتور مُحَمَّد إلياس**

ABSTRACT

The goal of this research is to put light on the extent of the objective interpretation, so as to prevent the meaning of the Q uranic words in the Surat Al-Mulk, thus contributing to the removal of the most relevant references to the Holy Qur'an. It also mentioned the titles and themes of the Surah Al-Mulk that Quranic verses, as the purposes of the simplifications of the lessons gained from the Surah of the Qur'an, and the knowledge of the educational and social values that benefit from the guidance of the Surah Al-Mulk. Including all the meanings and inferences, and the results of the most important results: that in the Surah teaching how to glorifying Allah Almighty, and the appreciation of God's right, and it turned out that the Surat did not respond to any reason for descent to the verses or in general, which is a true talk, The main reasons presents guidelines for the lessons learned from each of the Quranic texts of each section

As for the recommendations, he mentioned a message to all those working in the Holy Quran to pay attention to the theological interpretation of the Holy Quran because it has a great affect on the education of the community; it reaches to be virtuous and the hope of all those working in the centers of the Holy Quran to be active in supporting the efforts. In order to produce a collective and disciplined result in this important field, and to advise in translating such research; so that the contributors of the Holy Quran will go out to the whole world in all its different languages, cultures and trends.

Keyword: *Interpretation, Surah Al-Mulk, Holy Qur'an, verses*.

* أستاذ قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الديالجامعة الإسلامية بغزة.

** الأستاذ المساعد بقسم الحديث النبوي وعلومه كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

المقدمة

الحمد لله الذي أنشأ الخلق لعبادته، وخلق الجنة والنار بقدرته، والذي جعلنا الأمة الوسط في أممه، وصلاة الله وسلامه على سيد المرسلين وخاتم النبين، وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين، وبعد!

فإن القرآن الكريم شرف الأمة ومصدر عزتها؛ لما تشتمل عليه آياته وسوره الكريمة، من هداية للناس، وإعجازهم كافة، كما بيّن ربنا جل وعلا في كتابه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...الخ﴾[١]، وقد كان من مظاهر اعتناء الأمة الإسلامية بالقرآن أن انشغل علماؤها بتفسيره، ونهل علومه، ولا غرو؛ فهو أحق ما تفنى به الأعمار، ويُشغَل به العقول والأذهان، فكان التفسير للقرآن الكريم، بكل ألوانه وأقسامه، منشغلين بالهدايات واللطائف المستفادة من تفسير القرآن الكريم، لكنّ منهم من ابتعد، ومنهم من اقترب من تلك الهدايات؛ تبعًا لاختلاف مدارس هؤلاء المفسرين، ومذاهبهم، وتخصصاتهم.

ولأجل هذا؛ فإن هذا البحث يركز على بيان الهدايات الأكثر ملامسة لظاهر النص القرآني في سورة الملك، من خلال عنوانه المسمى "**الاتجاه الهدائي في تفسير " سورة الملك "**.

المبحث الأول: مقدمات نظرية للتفسير الهدائي لسورة الملك

يركّز هذا المبحث على بيان التعريف الدقيق لمصطلح التفسير الهدائي، ومن ثم التعرف على ظلال سورة الملك، ويشتمل هذا المبحث على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للاتجاه الهدائي في تفسير

أولًا: تعريف الاتجاه الهدائي لغة واصطلاحا:

الاتجاه لغة:

الاتجاه: مصدر الفعل اتَّجَهَ إلى، يقال اتجه إليه: أقبل بوجهه عليه، ويقال: فلان ذو اتجاه فكري معتدل، أي نزعة وميل[٢].

---

(١) سورة الإسراء: ١٠

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار، مكتبة لسان العرب، ٢٠٠٨م، ٢٤٠٦/٣.

الاتجاه اصطلاحا:

الحقيقة أن كلمة "اتجاه" اصطلاح حديث لم يستخدمها علماء التفسير الأوائل، إنما عرفها العلماء المتأخرون. يتبيّن من خلال تعريفاتهم أن الاتجاه هو هدف يتجه إليه المفسرون ويجعلون نصب أعينهم في تفاسيرهم ويلونونها بلونة آرائهم، وأفكارهم، ونظراتهم وغيرها[١].

ثانيًا: تعريف الهداية

الهداية لغةً: أصل الهداية في اللغة هو الإرشاد والدلالة وبيان الطرق[٢].

الهداية اصطلاحًا: الهداية في الاصطلاح هي دلالة على ما يوصل إلى المطلوب، أو هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب[٣].

ثالثا: تعريف التفسير

التفسير لغة: هو كشف المراد عن اللفظ المشكل، والفسر: هو البيان، وتفسير آيات القرآن، أي: شرحها، وتوضيح ما ينطوي عليها من معانٍ وأسرار وأحكام[٤].

التفسير اصطلاحًا: عرف التفسير اصطلاحًا خلقٌ كثير، ومن أراد أن يتعقب هذه التعريفات يمكنه الرجوع إلى ما ذكره الدكتور مساعد الطيار حينما عرَّف التفسير اصطلاحًا، لكنني أرتضي تعريفه للتفسير اصطلاحًا، بأنه: كل ما هو شرح وبيان للقرآن[٥]؛ لأنه وإن كان مختصرًا إلا أنه يذكر كل ما يخطر بالبال من أسرار وأحكام وحِكم ومعاني وهدايات القرآن الكريم.

ثالثًا: الخلاصة التعريفية لمصطلح الاتجاه الهدائي للقرآن

يتبيّن من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي لكلٍّ من: التفسير، والهداية، أن التفسير الهدائي اصطلاحًا هو: كل علم ينتج عن شرح وبيان القرآن الكريم، مما فيه دلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب شرعًا، وهو هداية الناس إلى الحق.

---

(١) هذه الخلاصة من جهد الباحث بناء على مطالعته من هذين الكتابين (اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم شريف، دارالسلام – مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص٦٠. واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد الرومي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ٢٢/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤٢/٦. مختار الصحاح للرازي، مكتبة لبنان، ٣٢٥/١.

(٣) التعريفات للجرجاني، ٢٥٦/١.

(٤) لسان العرب لابن منظور، دارالكتب العلمية بيروت، ٥٥/٥.

(٥) مفهوم التفسير والتأويل، لمساعد بن سليمان، دار ابن الجوزي بمكة، ١٤٢٧هـ، ص:٦٥.

المطلب الثاني: بين يدي سورة الملك

هي أول سورة من جزء تبارك الذي تشتمل على إحدى عشرة سورةً جميعها مكيٌّ، وهي من سور المفصَّل، التي تكثر فيها الفواصل، ورؤوس الآيات[١]، وقد وقفت على جوانب تمهيدية للسورة قبل الدخول في إيضاح وبيان آياتها، وذلك فيما يأتي:

أولًا: وقت نزولها، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها

سورة الملك مكية بالإجماع، وهي تشتمل على إحدى وثلاثين آية. نزلت في العهد المدني الأخير والمكي، وتشتمل على ثلاثمائة وخمس وثلاثين كلمة، وعدد حروفها ألف وثلاث مائة وثلاثة عشر حرفا[٢].

ثانيًا: أسماء السورة

الاسم الأشهر هو سورة الملك، وسبب التسمية بذلك افتتاحها بتقديس الله تعالى، وتعظيمه لنفسه، الذي تفرَّد بسلطانه العظيم، وتفرَّد بالتصرف في هذا الكون، بل وكل خلقه أجمعين، ولا أحد في الوجود يجترئ على مشاركة الله تعالى مالك الملك في ملكية هذا الكون العظيم، في عالمي الغيب والشهادة.

وتسمّى أيضًا سورة تبارك، وسورة تبارك الملك بمجموع الكلمتين، سورة الواقية، وتسمى المانعة، والمناعة، وسورة المنجية؛ لأنها تنجي وتمنع صاحبها من عذاب القبر، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يسميها المجادلة؛ لأنها تجادل عن قارئها في القبر، في عالم البرزخ[٣].

ثالثًا: فضائل السورة

ذكرت أحاديث كثيرةٌ فضلَ هذه السورة الكريمة، لكننا نورد ما كان تخريجه في دائرة المقبول، مثل:

١. ما أخرجه الإمام أحمد في المسند أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: " إن سورة من القرآن، ثلاثون

---

(١) سور المفصَّل تبدأ على الرأي الراجح من سورة "فصلت" إلى سورة "الناس"، وقيل: من سورة "ق" إلى "الناس". (التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م، ٢٦/٢١٤).

(٢) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو، ص:٢٥١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مؤسسة الرسالة، ١٨/٢٠٥، والتحرير والتنوير، ٢٩/٦.

٢. آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾"[١] [٢].

٣. أن سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام قال عن سورة الملك: "هي المانعة من عذاب القبر"[٣].

٤. قال النبي الأمي عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجمعين : "سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي سورة تبارك"[٤].

رابعًا: أهداف ومقاصد السورة

هدفت هذه السورة إلى بيان أصول العقيدة، من إثبات وجود الله تعالى، ولفت نظر إلى عظمته تعالى، وقدرته في مشاهد الكون ونواميسه، والاستدلال على وحدانيته، والإخبار عن البعث والنشور، وعن رزقه تعالى الذي يكرم به الخلق، وتذليل الأرض للعيش، وحفظها من الخسف، وحفظ السماء من إنزال الحجارة المحرقة المدمرة، وإمساك الطير، ثم ختمت هذه السورة بالإنذار والتهديد للمشركين[٥].

خامسًا: مناسبة السورة لما قبلها

في آخر سورة التحريم ضرب الله تعالى أربعة أمثلة، مثلين للكافرين على امرأتي نوح ولوط عليهما السلام، ومثلين للمؤمنين على امرأة فرعون، ومريم البتول، وفي بداية سورة الملك يبين الله تعالى أنه تبارك شأنه؛ فهو مالك التدبير في هذا الوجود وحده، فهو يظهر من عجائب قدرته، وغرائبها ما يشاء، فقد ابتلى السيدة مريم بحملٍ غير مسبوق، حملٍ معجزٍ خارقٍ للعادة؛ حيث حملت حملًا من غير زوج، ولكن لأنها مؤمنة بعظمة الله تعالى فإنه لم يزحزح هذا الابتلاء إيمانها بربها تبارك وتعالى، وكذلك إيمان آسيا امرأة فرعون، فإنها لم تنحرف عن الإيمان رغم طغيان فرعون، وكذلك فإن صلة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام، لم يزلزل ثباتهما كنبيين، رغم أن زوجتيهما كافرتان، ومن جهة أخرى فإنه لم ينفع هاتان الزوجتان الكافرتان صلتهما بزوجيهما النبيين، لكنّ قضية الانتفاع بالصلة عند الله تعالى ليس له علاقة بالقرابة، إنما له علاقة بالتحام الولاء الأكمل والأمثل لله تعالى ولأنبيائه عليهم السلام، وما سبق من الأمثلة يبين ضرورة الاتصال بالإيمان بالله تعالى واليقين بوجوده تبارك وتعالى، وعظمته، وتعاليه وتقديسه سبحانه،

---

(١) سورة الملك:١

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة، رقم الحديث:٧٩٧٥، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى٢٠٠١م، ٣٥٣/١٣، قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: حسن لغيره.

(٣) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ١٣١/٣.

(٤) صحيح الجامع الصغير للألباني، المكتب الإسلامي، ٦٨٠/١، وقال الألباني في المرجع نفسه: حسن.

(٥) مُحَمَّد عزت، التفسير الحديث، المكتبة الأسدية بمكة، ١٣٨٣هـ، ٣٧٣/٥.

فيؤمن المؤمنون بأن الله تبارك وتعالى هو الذي يظهر هذه العجائب، وهو الذي يختبر هذه الاختبارات، فهم موقنون بأن الله تعالى منه الاختبار، وهم موقنون بأنه يريد أن يرى فيهم صلابةً وثباتًا في الدين، ومن ثم فهذا نوع من النسيج، أو المعنى الترابطي التناسقي التناسبي بين سورتي التحريم والملك[١].

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للتفسير الهدائي لسورة الملك

يركز هذا المبحث على الدراسة التطبيقية للتفسير الهدائي لسورة الملك، وذلك من خلال تقسيم السورة إلى خمسة مطالب لهذا المبحث، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: من دلائل القدرة الإلهية

يبين الله تعالى دلائل قدرته في سورة الملك، بأنه خلق الموت والحياة، وخلق السموات والأرض، لا ينظر أحد فيهما عيبا ولا اختلافا، ولا نقصا، ولا عيبا. هذه كلها دلائل على قدرته تعالى لا ينكرها إلا جاحد أو متكبر.

قال تعالى:﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ... وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[٢].

معاني الكلمات[٣]:﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم وتعالى، وتقدَّس، ﴿بِيَدِهِ﴾ إثبات يدٍ لله تعالى، دون تكييف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، ﴿قَدِيرٌ﴾ اسم من أسماء الله تعالى، يشتق منه صفة القدرة التي هي صفة ذاتية لله تعالى، ﴿خَلَقَ﴾ الإيجاد من العدم بتقدير الله تعالى، ﴿الْمَوْتَ﴾ انعدام الحياة، سواء أكانت قبل أن يكون الإنسان نطفة، أو أثناءها قبل أن ينفخ في الروح، أو انعدام الحياة بعد أن يكون وُلِد ودبَّ على الأرض حيًّا، بعد أن استهلَّ صارخًا من بطنِ أمه، ثم كتب الله عليه الموت، ونزل القبر في حياة البرزخ، وأيًّا كانت طريقة انعدام الحياة، فهي موت، إلا الشهداء فهم أحياء يرزقون، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم وليمتحنكم، ﴿الْعَزِيزُ﴾ اسم من أسماء الله تعالى، يشتق منه صفة العزة، التي تعني القوة التي فيها شدة الانتقام ممن عصاه وخالف أمره، ﴿الْغَفُورُ﴾ اسم من أسماء الله تعالى، يشتق منه صفة المغفرة التي لا يتصورها مخلوق لجميع الذنوب لمن أناب إليه وتاب، ﴿طِبَاقًا﴾ طبقًا فوق طبق فبعضها فوق بعض، ﴿تَفَاوُتٍ﴾ اختلاف ناتج عن عدم التساوي في كفاءة الصنع والخلق، ﴿فُطُورٍ﴾ تصدُّع وتشقق، ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ مرةً بعد أخرى، ﴿خَاسِئًا﴾ فاترًا، ﴿حَسِيرٌ﴾ كليل منقطع أن تلحق ما نظر إليه،

---

(١) هذه الخلاصة من جهد الباحث بناء على مطالعته، إضافة إلى (البقاعي في نظم الدرر، ٢١٦/٢٠).

(٢) سورة الملك:١-٥

(٣) هذه المعاني من الباحث، بناء على كثرة اطلاعه في كتب اللغة العربية والتفسير، ويمكن الرجوع إلى التفاسير الآتية: (تفسير الطبري، ١١٨/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم، ٣٣٦٣/١٠، والتفسير البسيط للواحدي، ٣٧/٢٢)

﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾ أصلها – على الراجح– من شطن التي تعني الخروج من رحمة الله تعالى، وهو اسم علم لجنود إبليس من الجنّ، ﴿السَّعِيرِ﴾ تسعَّر النار عليهم، وتلتهب.

الإيضاح والبيان

- **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** السورة تبدأ بتمجيده تعالى وتعظيمه، والشيء العظيم في الأمر هو أن الله تبارك وتعالى هو الذي يعظِّم نفسه، فكأنّ في ذلك تهييجًا للمؤمنين؛ كي يرتقوا في مراقي الكمال في ذكر الله تعالى، دون تردد أو توانٍ، أو تأخُّرٍ، أو تراجُعٍ؛ فيبقى هؤلاء المؤمنون دائمي الذكر لله تعالى، ألسنتهم رطبة بها الذكر، تلهج بتعظيم الله، فربُّنا الخالق هو الذي يقدّس ذاته، ويعظم ذاته، ويكبّر ذاكرًا لذاته العلية، فيكون معنى قوله:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، أي: تقدّس وتعالى، الذي هو مالك كل شيء، ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: والحال أنه بلغت شمول إحاطته بخلقه أنه على كل شيء في هذا الكون المقدّر والممكن والمخلق كثير القدرة التي لا تدركها عقول الخلق جميعًا(١).
- **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾** يذكر ربنا في هذه الآية دليلًا من أدلة قدرته المطلقة؛ حيث ذكرت الآية السابقة أنه– تعالى – على كل شيءٍ –سواء مقدَّرٌ أو ممكنٌ أو مخلوقٌ– قديرٌ، وتذكر هذه الآية نموذجًا من القدرة، وهو أن الله تعالى هو الذي خلق الموت، وهو الذي خلق الحياة؛ فمهما أعطى المخلوقات فرصةً في الحياة؛ فإنه كذلك خلق الموت، وسينهي هذه الحياة على حياة بأمره بهذه الأحياء؛ فالله سبحانه وتعالى هو الذي أحياها، وهو سبحانه وتعالى الذي يقضي بموتها؛ ليختبركم أيها الناس، وليعاملكم معاملة المختبر، وهو أعلم بكم، وذلك في الحياة الدنيا؛ ليميز الله تعالى أيكم أيها الناس أطوع لله تعالى، وأيكم أورع عن محارم الله، وأيكم أحسن للموت ذكرًا، واستعدادًا له، وخوفًا وحذرًا من ذلك الموت وعاقبة مال بعده(٢)، ثم يجازيكم بعد الموت، وقد أسند الله تعالى الحسن في الآية؛ لأن من كان هو حسن العمل، كان أحسن الناس، حتى لو كان منظره بشعًا؛ فإن الله تعالى أسند الحسن إلى العمل وليس إلى المنظر، والحال أنه هو العزيز الذي لا يغالَب، الغفور لخلقه عما بدا منهم(٣).

---

(١) تفسير القشيري، دار الكتب العلمية، ٦١٠/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٠٦/١٨، المحرر الوجيز لابن عطية، ط. دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ، ٣٣٧/٥.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ٢٣٤/٨.

(٣) أوضح التفاسير للخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ١٩٦٤م، ص٦٩٨.

- ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ**﴾، يسترسل الخطاب القرآني في إثبات أدلة قدرته سبحانه وتعالى، فيقول ﷻ: الذي خلق سماءً ثم سماءً، طبقة فوق طبقة، وكل طبقة محكمة، والملتزق منها أطرافها، فهي في غاية الإحكام، فلا ترى في خلقها خللًا أبدًا، فما ترى -أيها الرسول وكل من يصلح له الخطاب من بعدك- في خلق كل سماءٍ من السماوات السبع، بعضها فوق بعض، أيَّ خللٍ أو اختلافٍ، أو اضطرابٍ، بل هي مستويةٌ، لا سيما السماء الدنيا القريبة منا، فالله تعالى خلق السماء الدنيا، وهي مستقيمة، وإن شئت فارجع وأعد البصر، فهل ترى فيها من خلل، أو صدوع أو شقوق؟ كلُّ هذا يدلُّ على أحكام الله تعالى، وعظمة خلقه الدالة على قدرته المطلقة في هذا الملك العظيم(١).
- ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾، كرر ربنا الله تعالى في هذه السورة كلمة البصر أكثر من مرة، عندها ينصرف إليك البصر صاغرًا مطرودًا ذليلًا، وهو حسير من كثرة التأمل، لا ترى فيها —أي: السماء-عوجًا ولا فطورًا، ولا ترى فيه سطوعًا، ولا شقوقًا، ولا خللًا، ولو أعدت النظر مرةً أو آلاف المرات، فسيرجع إليك النظر في كل مرة كليلًا تعبًا، قد أصابه الإعياء من قبل أن ينظر في السماء شيئًا من الخلل، وفي ترديد البصر مزيد طمأنينة (٢).
- ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾، ثم يذكر الخطاب القرآني دليلًا آخر من دلائل قدرته، وهو تزيين السماء الدنيا القريبة منا، بالنجوم والكواكب، كالمصابيح في السقف، فيقول خالق الأرض والسموات: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾، والواو: حرف استئناف، واللام: حرف واقع في جواب القسم المحذوف، تقديره (أقسم بعزتي وجلالي لقد زينا أقرب السموات إلى الأرض وإلى الناس)، وقد: تفيد التحقيق؛ لأنها في حق الله تعالى، والتقدير: أقسم حقًا أننا بعظمتنا زينَّا أقرب السموات إلى الأرض وإلى الناس، بمصابيح وكواكب، ونجوم متقدة، وجعلناها رجومًا للشياطين، أي: مرامي للشياطين، إذا استرقوا السمع من الجن، الذي يستحقون الحرق، وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٠٨/١٨.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤١٥هـ، ٣١٩/٤، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، دارالفكر، ببيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٢٢/١٠، الشوكاني، فتح القدير للشوكاني، دار الوفاء، ببيروت، ١٤١٤هـ، ٣٠٩/٥.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للهرري، دار المنهاج ببيروت، ٢٠٠١م، ٢٠/٣٠.

المقاصد الرئيسة لهذه الآيات

١. الله ﷻ يعلّمنا كيف نقدّسه وننزهه عن كل نقص، كما يظهر بقوله في الكتاب المهيمن :﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾.
٢. تقديم ذكر الموت قبل الحياة؛ لأنه إلى القهر أقرب، أو لأن الأشياء كانت ابتداءً في حكم الموات، ثم طرأت عليها الموت، مما يزيد ذلك من قناعة المسلم بحب ما يحب الله، لا ما يحب هو لنفسه (١).
٣. دلائل قدرة الله تعالى ظاهرة في الكون، لا ينكره إلا جاحد مكابر. وفيه بيان أن الموت الذي فيه انعدام الحياة، والحياة التي فيها معاش الخلق، إنما هي لأجل الاختبار والامتحان، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.
٤. ضرورة التفكر في مخلوقات الله تعالى في الكون؛ ليزداد المؤمن إيمانا على أن الله تعالى هو الخالق.
٥. ضعف الإنسان أمام قدرة الخالق ﷻ.
٦. لا تستطيع الشياطين استراق السمع في السماء فضلًا عن اختراقها.
٧. تصدر آية تزيين السماء بالقسم؛ لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها(٢)، كما قال:﴿وَلَقَدْ﴾.
٨. الشياطين سيعذَّبون يوم القيامة في النار، كما قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾.

المطلب الثاني:العذاب الأُخرويُّ لعمومِ الكافرينَ

أعد الله تعالى عذاب نار جهنم لعموم الكافرين لأنهم جحدوا ربهم، وكذب رسله، سيقرون يوم القيامة أنه قد جاءهم رسول نذير ينذرهم، ولكنهم كذبوه فسيدخلون في جهنم، ويعذَّبون فيها، ويبقون فيها أبدا، وهي بئس المصير.

قال تعالى:﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ...فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣).

معاني الكلمات(٤):﴿كَفَرُوا﴾ جحدوا وأنكروا الله تعالى، وآياته، فهم الخارجون عن الملة، ﴿جَهَنَّمَ﴾ اسم من أسماء النار، ﴿الْمَصِيرُ﴾ المرجع والمآل، ﴿شَهِيقًا﴾ هو تردد الأنفاس لمصدر النار نفسها، حيث لا يستطيع أحدٌ الصعود للبكاء، ﴿تَفُورُ﴾ تغلي وترتفع ألسنة لهيبها، ﴿خَزَنَتُهَا﴾ الملائكة المكلَّفون فيما

---

(١) تفسير البغوي، دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ١٢٤/٥.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعمادي، دار المصحف مكتبة ومطبعة عبد الرحمن- بالقاهرة، ٤/٩.
(٣) سورة الملك:٦-١١
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٣/٢٩، ومحمد الخطيب، أوضح التفاسير، ص:٦٩٩.

يتعلق بالنار، ﴿نَذِيرٌ﴾ نبيٌّ يحذِّركم من الكفر، ﴿فَسُحْقًا﴾ بُعدًا عن رحمة الله، وهو مصدر، والمقصود باعدهم الله عن رحمته مباعدةً.

الإيضاح والبيان

- ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ بعد أن تكلم الخطاب القرآني عن السماء والملائكة والشهب وغير ذلك، مما يدل على قدرته تعالى، ينتقل للحديث عن وصف السعير، ووصف جهنم، والعذاب، ووضع المشركين، فيبين الله تعالى أن عذاب جهنم بعيدة القعر معدٌّ لعموم الكافرين، دون غيرهم، فتصطليهم، ويعذَّبون فيها(١).
- ﴿**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ**﴾ الذين كفروا -على عمومهم- تتولاهم الملائكة من خزنة النار، تقذفهم قذفًا في النار، وتجرُّهم جرًّا، وتسوقهم سوقًا، وكما وجهها الله تعالى، فإن الملائكة تفعل بهم من التعذيب والسؤال والتوبيخ، وجرهم على وجوههم، وقذفهم في النار، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾، يعني عندما أدخلوا فيها يسمعون لأهلها ممن تقدَّم طرحهم في جهنم صوتًا هائلًا منكرًا أنكر من صوت الحمير، ولكن بصورة مكبَّرة، على قدر سحيق جهنم، وقوتها وصوتها، وحسيسها(٢).
- ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**﴾، أي: توشك النار أن تتقطع وتغلي وتفور غضبًا وغيظًا على الكفار، كلما دخل في تلك النار جماعةٌ من الكفار سألهم الملائكة من خزنة النار سؤال توبيخ، وهم يدفعونهم دفعًا، قائلين: هل لا يأتيكم نذير؛ لينذركم هذا العذاب؟، وهذا نوع من العذاب النفسي، إضافة إلى العذاب الجسدي(٣).
- ﴿**قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ**﴾، بينت الآية الكريمة أنّ هؤلاء الكفار يقرون أنه قد جاءهم رسول نذير ينذرهم يوم القيامة ومآلهم فيه، فما كان منهم إلا التكذيب، فهو اعتراف من الكفار أمام الملائكة بأنهم قالوا للأنبياء عليهم

(١) تفسير القرآن للسمعاني، ط. دار الوطن، ١٩٩٧م، ٩/٦.

(٢) الكشاف للزمخشري، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٧هـ، ٥٧٨/٤.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، بجامعة الشارقة، ٢٠٠٨م، ٧٥٩٥/١٢.

السلام –بعد تكذيبهم–: ما نزَّل الله أيَّ شيء مما تحدثونا به، فما أنتم أيها المدَّعون للرسالة والنبوة إلا غارقون في نسيان وزيغ وانحراف كبير، وفرار عن الحق ببعد طويل[١].

- ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾، هذا التفات، حيث انتقل من الخطاب إلى الغيبة؛ لرفع السآمة، وهذا هو أسلوب القصص القرآني؛ حيث يبين الله تعالى حال الكفار، وهو يلومون أنفسهم، بعدما وقعت الواقعة، حيث يقولون: لو كنا نسمع من رسلنا سماع من يفكر ويتدبر ويتفكر ويطلب الحق، أو نعقل عقل من ينظر في الأدلة، ويتأنى ويتأمل عندئذٍ ما كنا محسوبين في أصحاب النار المسعَّرة، وقد جمعوا بين السمع والعقل؛ لأن مدار التكليف قائمٌ عليهما[٢]، والسؤال المتبادر هنا: كيف يفكرون؟ وكيف يعقلون؟ والحال أنهم يحسبون ويدرسون وهم في حالة تطور اقتصادي مستمر، وكذلك الاختراعات والاكتشافات وما شابه؟ وللإجابة على هذا نقول: إن العقل هو الآلة التي تعصم الإنسان من الوقوع في الزلل، ومن تمييز القبيح من الحسن، وتسوق صاحبها إلى الحسن، وتصرفه عن القبيح، وهذا غير موجود عند الكافر، إذًا آلة التفكير عند الكفار لم يستفيدوا منها، كما سخرها الله تعالى، فكانوا في حكم من لا عقل له، أو أنهم لم يُؤتَوا العقل، وإنما لهم أذهان، والذهن هنا آلة جمع العلوم جملةً، والعقل المراد في الآية هو آلة التمييز، فالكفار لم يملكوا آلة التمييز، آلة الفرقان بين الحق والباطل، ولكنهم يملكون الذُّهن، الذي هو آلة جمع العلوم من غير تمييز بين الحسن فيتبع، والقبيح فيُدفَع[٣].
- ﴿**فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾، أي: اعترفوا بتكذيب الرسل، ثم اعترفوا بجهلهم، فإذا كان أمرهم كذلك فإننا نسحقهم سحقًا معدًّا لأصحاب النار المسعَّرة؛ حيث أبعدهم الله تعالى عن رحمته مباعدةً[٤].

المقاصد الرئيسة لهذه الآيات

١. عموم الكفار –معاهدهم ومحاربهم وممارس الصد عن سبيل الله وغير الممارس– في جهنم يوم القيامة، إن ماتوا على ذلك، كما قال الغفار القهار: ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ**﴾.

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، ٥١٠/٢٣.

(٢) الجواهر الحسان للثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ٤٥٩/٥.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي، دار التفسير، جدة، ٢٠٠٢م، ٣٥٨/٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٢/١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٣/١٨.

٢. أيُّ واحدٍ من عموم الكفار لو فعل أعظم القربات، ولم يؤمن بالله تعالى، فمصيره مذموم في الآخرة، وإن مدحه الناس عليها في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾

٣. النار تتشوَّق لتعذيب النار، وتتمايز في غيظها يوم القيامة؛ غيرةً لله تعالى[١].

٤. خزنة النار تسأل الكفار؛ لأجل إقامة الحجة عليهم.

٥. الكفار وإن أنكروا الحق في الدنيا، إلا أنهم يعترفون به يوم القيامة اعتراف ندم، ولكن بعد فوات الأوان؛ إذ لا عقل لهم ولا سمع للحق[٢].

٦. يباعد ربنا الكفار يوم القيامة عن رحمته مباعدة كبيرة، كما قال في التنزيل:﴿**فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾.

المطلب الثالث:ثواب الذين يخافون الله يوم القيامة

معاملة المؤمنين تختلف يوم القيامة عن الكفار لأنهم آمنوا وخشوا الله تعالى، وخافوه بالغيب، مع أنهم لم يروا جهنم، ولم يروا الجنة، ولذلك يفرح بهم الله تعالى ويشيد بهم، ويبشر بأن لهم الأجر الكبير العظيم.

قال في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾[٣].

معاني الكلمات[٤]:﴿يَخْشَوْنَ﴾ تتألم قلوبهم؛ بسبب معرفة جلال الله تعالى وهيبته، ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في الخلوات.

الإيضاح والبيان

- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾، كما تكلمت الآيات السابقة عن مصير الكافرين فالآن بدأت الآيات تتكلم عن مصير المؤمنين، حيث يقول تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾، والغيب هنا: هو ما كان قبل معاينة العذاب، أو الغياب عنه وعن أعين الناس، وأحكام الآخرة، قد آمن هؤلاء المؤمنون غيبيًا، وهم في الحياة الدنيا، ولم يروا بعينهم الجنة، ولم يروا النار، ولم يروا خزنة جهنم، ولم يروا شيئًا من هذه الغيبيات، ومع ذلك فإنهم قد آمنوا وخشوا الله تعالى، وخافوه بالغيب، وحسبوا له ألف حساب، وهناك من رأى أن خشية الله تعالى بالغيب، أي: يخافون

(١) غرائب القرآن للنيسابوري، ٦/٣٢٦.

(٢) البقاعي في نظم الدرر، ٢٠/٢٣٨.

(٣) سورة الملك:١٢

(٤) التعريفات للجرجاني، ص٩٨.

خوفا أرق قلوبهم، وقلوب غيرهم، بحيث كانوا كاللحب على المقلى[١]، قال رب العلمين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٢]، مع أنهم لم يروا جهنم، ولم يروا الجنة، ولكنهم يخشون ذلك غيبيًا، ويخشون ربهم منضبطين بالحق في الغيب، مع أنهم لم يروا عقاب الله تعالى وعذابه الموعود في الآخرة، وحسبوا لذلك ألف حساب، وهذا كله في دار التكليف، قبل فوات الأوان، ولذلك يمتدحهم الله تعالى ويشيد بهم، فيذكر أن لهم الأجر الكبير العظيم[٣]، كما جاء مثل هذا في قوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[٤].

المقاصد الرئيسة لهذه الآية

١. أكبر علامات الخشية بين الإنسان وربه، حينما يكون في الخلوات؛ لأن العظماء من العابدين هم الذين يضبطون أنفسهم بعدم الانجرار وراء الملذات الدنيوية في تلك الخلوات، كما قال رب العلمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾.
٢. التخلية مقدمة على التحلية في إجزال الثواب عند الله تعالى؛ لأنهم خشوا المؤاخذة على فرط الذنوب، فجاء الاطمئنان بمحو الذنوب، ثم الأجر الكبير[٥]، كما قال الله تعالى:﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.
٣. أصحاب الفكر المادي لا يؤمنون إلا بما وقع تحت حواسهم، بينما أصحاب الفكر العقدي الرباني الشرعي يؤمنون بما وقع تحت الحسيات، وما وراء ذلك من الغيبيات، وكل آثار تلك الغيبيات السلوكية والنفسية، كما قال تعالى:﴿بِالْغَيْبِ﴾

المطلب الرابع:الوعيد الشديد للكافرين

أنعم الله تعالى على الكفار بإنعامات كثيرة ولكن لم يشكروه على أنعمه ولا آمنوا به، بل كفروا بأنعمه وكذبوا رسوله، فأنذرهم الله تعالى وخوفهم بوعيد شديد وأخبرهم بأنهم سيحشرون إليه، ولا يأمنون من قدرته، وسلطانه، وعظمته، وعقابه وحسابه.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ٢٣٠/٥.
(٢) سورة المؤمنون:٦٠
(٣) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ٢٤٣/١٩.
(٤) سورة ق:٣٣،٣٤
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٩/٢٩.

قال تعالى:﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ... وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[١].

معاني الكلمات[٢]:﴿اللَّطِيفُ﴾ كثير اللطف بعباده؛ إذ أنه خلقهم، ﴿الْخَبِيرُ﴾ كثير الخبرة بهم وبأعمالهم، ﴿ذَلُولًا﴾ ممكنة السلوك والسير في شعابها وجبالها، ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها أو جبالها أو طرقها أو مناحيها، ﴿النُّشُورُ﴾ البعث يوم القيامة، ﴿تَمُورُ﴾ تدور وتتحرك حتى يخسف بكم، ﴿حَاصِبًا﴾ الحجارة التي تمطر عليكم كان حدث مع قوم لوط عليه السلام،﴿نَكِيرِ﴾ أصلها نكيري؛ حيث حذفت الياء تخفيفًا، والمعنى: عقوبتي، ﴿غُرُورٍ﴾ في غرور الشيطان، وأصله تجهيل الشيطان لمآل الإنسان بعد الذنب، ﴿عُتُوٍّ﴾ المبالغة في الشرك والكفر،﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم، ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وهي خاصة بالإنس والجن.

الإيضاح والبيان

- ﴿**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾، نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين الذين كانوا يؤذون نبي الله بألسنتهم، فأخبرهم الله تعالى بما كانوا يقولون فيما بينهم، ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وفي هذه الآية المباركة انتقال من أقوالهم في الآخرة إلى أقوالهم التي تصدر منهم لغرض النيل من نبينا سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام[٣].
- ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾، إن الله جل ذكره يعلم ما في صدور الناس، وما يسرون به، كل شيء في علمه ظاهرا كان أو باطنا، والحال أنه هو اللطيف بعباده، الخبير بهم، وفي الآية استفهام إنكاري يفيد نفي النفي عن علم الله تعالى بما يقوله خلقه سرًّا منهم كان أو جهرًا[٤].
- ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾، إن الله جعل للخلق الأرضَ مذللةً مسخَّرةً، فإذا تيقنتم من ذلك فامشوا في جوانبها وجبالها وأطرافها، وسمى الله تعالى جوانب الأرض مناكبَ؛ حتى يذكِّر أنها بقيت مناكب كما هي، يتنكَّب ويتعذر على الإنسان أن يقف عليها فضلًا عن أن يمشي أو يسعى فيها، لو تركها الله تعالى كما هي عليه لما

(١) سورة الملك:١٣-٢٤

(٢) جامع البيان للطبري، ٥١١/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٩/٢٩.

(٤) العاني، بيان المعاني، دار الرؤية بدمشق، ١٩٦٥م، ٣٩٦/٤.

استطاع الإنسان العيشَ عليها، ولكن الله تبارك وتعالى بنعمته المطلقة ذلَّلها للساعين على رزق الله تعالى، والمسترزقين للخلق، وكلوا من رزقه بعد البعث والحياة، وإليه لا إلى غيره النشور[١].

- ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾، يسأل الله عزّوجلّ الناس سؤالًا، فيقول: هل أمنتم أيها الكافرون بالله تعالى قدرتَه، وسلطانه، وعظمته، وعقابه وحسابه، وقد عبَّر عن ذلك كله بكلمة السماء؛ لأن الناس يقولون: الله في السماء، والله عزّوجلّ يخبر عن نفسه، أنه في سمائه، استوى على عرشه استواءً يليق بمقامه؛ فالسماء مهبط الوحي، وترفع إليها أعمال العباد؛ ولذا عبَّر بهذا التعبير: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾، أي: يجعلها تغور، وتتحرك، وترتفع بكم؛ فبعد أن تتحرك وتموج تجعلكم في باطنها، وترتفع فوقكم، كما حصل مع قارون، وهذه الآية تدل على حلم الله تعالى جل وعلا، هو الذي يؤجل العقوبة ولا يعجلها طلبًا للتوبة، والإنابة إليه، لا شك أن هذا لطفه وعنايته على العباد[٢].
- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾، أي: حجارة مطبوخة في جهنم، فيرميها عليكم، كما فعل بقوم لوط عليه السلام، وكما فعل بأصحاب الفيل، فعندها ستعلمون كيف يأتي عذابي الشديد، وإذا شاهدتم عذابي الذي لا يستطاع، ولا تطمع الأنفس لمعرفة كنهه فضلًا عن دفعه[٣].
- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: واللهِ لقد أكثر التكذيب من كانوا قبلكم يا كفار مكة، وكل الكفار ممن يصلح لهم الخطاب، فكيف كان إنكاري أو عقوبتي الشديدة إذا أهلكتهم، كما حدث مع قوم نوح وعاد وثمود[٤].
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾، ينتقل الخطاب القرآني إلى آية من آيات قدرته، وهي آية الطير، فيقول الله: أغفلوا ولم ينظروا كيف يبسط الطير أجنحته ويقبضها، في حالة القبض والبسط، كيف يحفظه الله بقدرته، وصافات تعني: باسطات أجنحتها، ويقبضن بقبض الأجنحة، والضرب على الجيوب، أي: الجوانب، لا يمسكهن في حال القبض والبسط إلا الله في تلك اللحظات، أي: في لحظة القبض، ثم الرجوع إلى البسط مرة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٥/١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار ابن حزم، ١٩٩٩م، ١٨٠/٨.

(٣) البقاعي في نظم الدرر، ٢٥٠/٢٠.

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٧/٩.

أخرى، بدلًا من أن يسقط خريرًا على الأرض، يمسكه الله عزّوجلّ في سمائه، فيبقى مستويًا متوازيًا في مستواه، فهو الذي يطير في الهواء[١].

- ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، والسؤال هنا للتقرير، أي: مَنْ هذا الذي يمنعكم من عقابي، ومن عذابي؟ من هذا النصير الذي تستنصرون به عليَّ، وتشعرون بأنه يقف معكم، إذا أردت بكم العقاب، أو الخسف أو الدمار، أو الهلاك، أو أنزلت عليكم الحصب، أو ما شابه ذلك من السماء، من هو هذا الجند الذي ينصركم من دوني أنا الرحمن؟ وهذا تحدٍّ من الله تعالى، غير أن ذكر الرحمن جاءت دون غيرها من أسماء الله تعالى؛ لأن السياق في هذه الآية هو التذكير بنعمة الله تعالى، فناسب الرحمة، ثم تختم الفاصلة القرآنية بقوله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، أي ليس الكافرون على شيء إلا في غرور يظنون أن آلهتهم تقرّبهم إلى الله، وأنها تنفعهم أو تضرهم، والغرور هو الاغترار بخديعة الشيطان، والكافرون يخدعهم الشيطان، ويوقعهم في شرك الخديعة[٢].
- ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾، يعني: من هو الرزاق المتكفل بأرزاقكم ويسوق لكم ما يسد حاجاتكم، إن أمسك أسباب الرزق التي تنزل عليكم، فتسترزقون بها، لو أن الله تبارك وتعالى أمسك عنكم أسباب الرزق، فمن هو الذي ينصركم عندئذٍ، ومن هذا الذي يرزقكم بديلًا عن الله تعالى، بل تمادوا في سفاهة وفي عصيان وضلال تباعد عن الحق[٣].
- ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، هذا سؤال رابع، أي الرجلين أفضل؟ أمن يمشي مكبًّا على وجهه أو من يمشي سويًّا على رجليه، هذا هو الفرق بين الكافر والمؤمن، فالكافر مَثلُه كمثل الذي يمشي منكبا مخرا على وجهه، والمؤمن مثله كمن يمشي سويًّا مستقيمًا، فالله تعالى يسأل هل الذي يمشي فيقع على وجهه، ويتعثّر في كل خطوة، يعبّرها بعدم معرفته بها، هل هذا في نظركم أرشد إلى المقصد أم الذي يمشي سويًا قائمًا لا يتعثر على طريق مستقيم، لا عوج فيه[٤].

---

(١) المرجع السابق، ٨/٩.

(٢) تفسير ابن عرفة، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ٢٦٣/٤.

(٣) علوان، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، الشيخ نعمة الله بن محمود، دار ركابي للنشر، الغورية بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ٤٣٢/٢.

(٤) المرجع السابق، ٢١٨/١٨.

- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾، هذه نِعَمٌ تستوجب الشكر لله تعالى، هذه النعم التي لا يمكن لأحد أن يحصيها، ومن أهم النعم؛ السمع، والبصر والفؤاد، خلقهم الله ﷻ وجعلهم الله للإنسان، فهو يقول لنبيه ورسوله سيدنا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام كما هو بأهله، قل يا أيها النبي هو الذي خلقكم وأنشأكم، وحباكم وجعل لمصلحتكم السمع والأبصار والأفئدة، أفلا تشكرون خالقكم(١).
- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، تضمنت هذه الآية مقصد تذكير بنعم الله تعالى، أي: خلقكم ومثلكم وكثركم وبثكم، ثم قواكم شيئًا فشيئًا، إنه الله الذي خلقكم في الأرض وإليه تجتمعون يوم القيامة(٢).

المقاصد الرئيسة لهذه الآيات(٣)

١. القول مهما كان سرًا أو علانية، فإن الله يعلمه؛ لأن ضمائر الصدور لا يعلمها إلا هو ﷻ.
٢. رغم علم الله تعالى بخلقه، إلا أنه كثير اللطف بهم، الخبرة بأعمالهم.
٣. حث ربنا سبحانه وتعالى لعباده أن يمشوا في جوانب الأرض؛ للارتزاق، مع ضرورة علمهم أن هذا من فضله وكرمه، والمرجع إليه تعالى شأنه.
٤. لا يأمن مكر الله إلا الذين خسروا أنفسهم، بإلهائها عن ذكر الله تعالى وطاعته.
٥. لا يقسم الله تعالى إلا على قسم عظيم، وسبب عظيم، وبيان عظيم.
٦. إقامة الحجة على الكفار لمعرفة آيات الله تعالى بالنظر والاستدلال.

٧. المطلب الخامس:دعاء الكفار على النبي والمؤمنين بالهلاك، والرد عليهم

من عادة الكفار كانوا يريدون أن يستخفوا بعقيدة المؤمنين ويشوشون ما جاء به النبي الأمي ﷺ، فلذا كانوا يعرضون عليه ﷺ وعلى أصحابه أسئلة متنوعة. فيردهم النبي -ﷺ- بدلائل باهرة وأسلوب دعوي.

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ .... فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾(٤).

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م، ٥١٦/٣.
(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ٢٢٩/١٠.
(٣) هذه الخلاصة المقصدية من جهد الباحث، إضافة إلى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٢٤/١٠-٢٢٩.
(٤) سورة الملك:٢٥-٣٠.

معاني الكلمات[١]:﴿الْوَعْدُ﴾ أي: وعدكم لنا بالعذاب يوم القيامة، ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا منهم، ﴿يُجِيرُ﴾ يمنع، ﴿ضَلَالٍ﴾ ذهابٍ عن الحق، وانحراف عن طريقه، ﴿غَوْرًا﴾ غائرًا عميقًا إلى حيث لا يصل إليه السجال والدلاء بحبال طوال، ﴿مَعِينٍ﴾ جارٍ ظاهر سهل التناول.

الإيضاح والبيان

- ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾، كان عادة الكفار أنهم يقولون للنبي سيدنا مُحَمَّد ﷺ وأصحابه: متى وعد الحشر؟ متى موعد القيامة إن كنتم صادقين، وهذا أسلوب إغراء وإلهاب، يستفز خلق الصدق عندهم، بما في ذلك مزيد تحدٍّ لهم[٢].
- ﴿**قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾، إنما العلم بوقوع يوم القيامة، وبوقوع الآخرة، كائنٌ عند الله تعالى، وإنما تتلخص وظيفة الرسول أو النبي أو من يقوم مقامه، أن يخوِّف وأن يكون نذيرًا، وأن يبين أحكام الشريعة، ولا ينبغي أن يُجَرَّ الدعاة إلى المصائد التي تنصب لهم من قبل المماحكين، والمشككين والمنكرين، والوجوديين، والذين يكفرون بالله سبحانه وتعالى، حينما أنكر هؤلاء الوعد، واستهزؤوا، واستخفوا به، وأنكروا القيامة، وقالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فالله عز اسمه لقَّن نبيه الإجابة، بانحصار علمها على الله تعالى، وإنما هو عليه السلام التخويف والتوضيح لأحكام الشريعة[٣].
- ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ**﴾، فلما رأوا عذاب الله –الجبار القهار– قريبًا في الآخرة، وبدؤوا يقفون في الموقف العظيم؛ ليحاسبوا على ما فعلوا، وعلى ما قدَّموا في الحياة الدنيا عندها يخبر الله تعالى عن تلك المشاهد أن وجوههم عليها الكآبة، والملائكة تقول لهم: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾، هولاء كانوا يقولون في الدنيا: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾، فهذا هو ما كنتم تطلبونه وتستعجلونه قد جاءكم، وقد وقفتم بين يدي الحق؛ حتى تروا بأنفسكم، وتذوقوا ما وعدكم ربكم من جهنم وحصبها وعذابها[٤].

---

(١) الفواتح الإلهية، ٤٣٣/٢.

(٢) الكوراني، غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، بتحقيق: مُحَمَّد مصطفى (في رسالته للدكتوراه)، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة صاقريا – تركيا، ٢٠٠٧م، ص٢٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٤) الدر المنثور للسيوطي، ٢٣٩/٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٢٠/١٨.

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، يا مُحَمَّد قل لهم ما رأيكم إن عذبني ربي ومن اتبعني من أصحابي، أو غفر لنا ورحمنا، فنحن من إيماننا خائفون، نخاف عذاب الله تعالى، ونرجو رحمة الله، فما دام الأمر كذلك فمن يمنعكم أيها الكافرون من عذاب الله تعالى، والحال أنكم كافرون، فأنتم باقون على كفركم لا تنجون من عذاب الله تعالى[١].
- ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قل يا مُحَمَّد من نؤمن به إيمانًا يقينيًّا هو الله الرحمن، وعليه لا على غيره نتوكل توكلًا محببًا عند الله تعالى، وهذه إجابة يعلِّمها الله تعالى لرسوله وللصحابة الكرام، فستعلمون عند معاينة العذاب يوم القيامة من انحرف الطريق السوي ووقع في الضلالة[٢].
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾، قل نبي ومن يصلح له الخطاب من بعده، ماذا تقولون إن أصبحت الماء -تشربونه وتسقي بهائمكم- عميقا في الأرض بحيث لاتصله الدلاء، أخبروني من يأتي لكم بماء صاف جارٍ غير منقطع[٣].

المقاصد الرئيسة لهذه الآيات[٤]

١. سؤال الكفار المستمر عن موعد يوم القيامة؛ لأجل الاستخفاف بعقيدة المؤمنين.
٢. رد علم موعد يوم القيامة إلى الله تعالى مطلب إلهي.
٣. الكفار لا يؤمنون إلا بالمحسوسات والمبصرات التي يرونها فيوم الآخرة لاينفعهم إيمانها.
٤. مقارعة الحجة بالحجة أسلوب دعوي، يرشدنا إليه القرآن الكريم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ط:طيبة الخضراء، ١٤١٦هـ، ٣٩٧/٢.
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، ٣٢١/٤.
(٣) تفسير القرآن، لعبد العزيز بن عبد السلام، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٦م، ٣٤٤/٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٩/١٨-٢٢١.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا على الصراط المستقيم وفضلنا في الأمم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، فلم يبخل بالدعوة إلى الله تعالى، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المحجلين، وبعد، فإنه بعد الدراسة المستفيضة في حيثيات موضوع الاتجاه الهدائي في تفسير سورة الملك "تبارك"، لاحت أهم النتائج والتوصيات في نهاية هذه الدراسة، وذلك فيما يأتي:

أولًا: أهم النتائج

١. التفسير الهدائي مصطلح مركَّب، يعني تناول كل علم له اتصال مباشر بما فيه دلالة بأسلوب دعوي، لما يوصل إلى المطلوب شرعًا، وهو هداية الناس كافة.
٢. للسورة أسماء ثمانية، وفضائل عديدة، ومقاصد وأهداف خاصة بجميع جوانب العقيدة الإسلامية بشكل عام، وأساليب محاورة الكفار، والحكم عليهم بشكلٍ عام.
٣. في السورة تعليم لكيفية تعظيم الله تعالى وتنزيهه، وتقدير الله حق قدره.
٤. تبيَّن أن سورة الملك لم يرد فيها أي سبب نزول لآياتها أو لها بشكل عام، مما هو حديث صحيح.
٥. تم تقسيم الجانب التطبيقي للتفسير الهدائي لسورة الملك إلى خمسة مقاطع، ويشتمل كل مقطع على عنوان، يحدد المسار الرئيس للهدايات المستفادة من ذلك المقطع.
٦. تم الاهتمام بذكر معاني الكلمات التي لها أثر بالغ في التفسير الإيضاحي البياني الذي يظهر شرحًا للهدايات المستفادة من الآيات المذكورة في كل مقطع.
٧. المقاصد الرئيسة تمثل خطوطًا عامة للهدايات المستفادة من كل جملة من جمل النص القرآني لكل مقطع.

ثانيًا: التوصيات

١. رسالة إلى جميع المشتغلين بالقرآن الكريم أن يولوا اهتمامًا في التفسير الهدائي للقرآن الكريم؛ لما له من أثر بالغ في تربية المجتمع؛ ليصل إلى أن يكون فاضلًا.
٢. الأمل من جميع القائمين على مراكز خدمة القرآن الكريم أن ينشطوا في دعم الجهود المبذولة في التفسير الهدائي للقرآن وترتيبها؛ لتثمر ثمرة جماعية منضبطة في هذا المجال المهم.
٣. النصيحة بترجمة مثل هذه البحوث؛ لينطلق المشتغلون بالقرآن الكريم إلى العالم بأسره، على اختلاف لغاته وثقافاته واتجاهاته.

— — —